



حكاية الصعلوك الأول

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. إسماعيل دياب
إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٦ - ٧٨٣٥٤٤٤ - ٢٨٨٦١٩٧

دقَّتْ صاحبةُ الْبيْتِ الأرض بقدميها فى غضبٍ ، فظهر فى الحال سبْعةٌ من الْعبيد الأقْوياء ، بيد كُلٍّ منهم سيفٌ مسْلولٌ ، وأحاطُوا بالْخليفة (هارون الرّشيد) والآخرين ليقتلوهم .

فقالتْ صاحبةُ الْبيْت :

- اتركوهم ، حتى أسألهم عن حالهم ، قبل أن تضربوا رقابهم ..

فقال الْحمّال مرتجفا :

- ياسيدتى ، لم تقتلينني بذنب هؤلاء الصعاليك ، وهؤلاء التُّجّارِ ، وأنا ماخالفتُ لك شرطا ؟!

فزال غضبُ صاحبة البيت قليلاً ، وقالت :

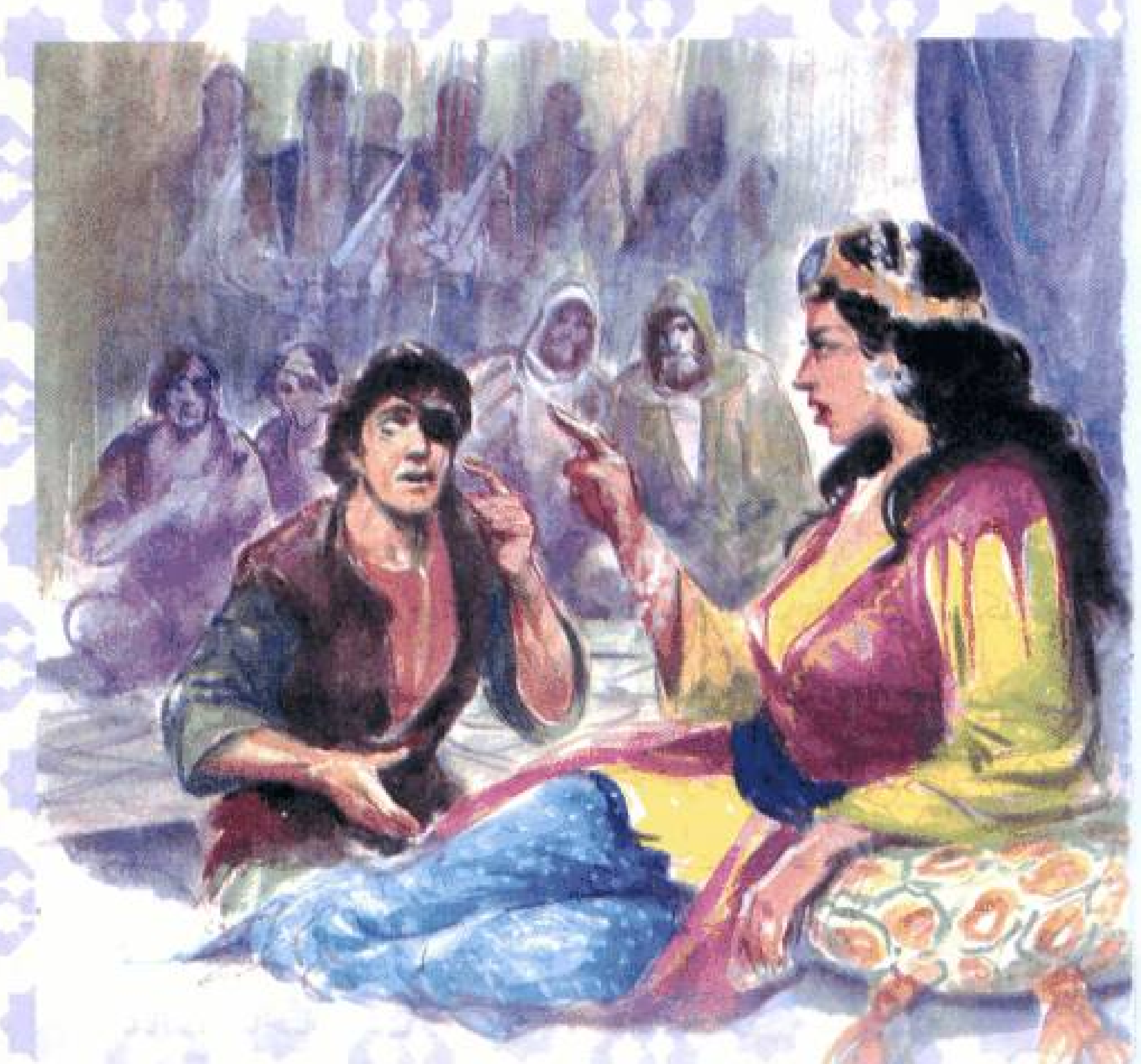
- لم يبق من أعماركُم إلاّ قليلٌ ، فأخبرونى أوّلاً بخبركُم ، لم تجرأتُم على دُخول دارى ؟

فقال الْخليفةُ لوزيره (جعفر) هامسا :

- ويْلك ياجعفر ، أخبرها من نكونُ ، وإلاّ قتلنا هؤلاء الْوحوش غدرا ، ودُون ذنْبٍ جنيناه ..

فقال (جعْفرٌ) هامسا :

- تمالك نفسك يامولاى ، حتّى نعْرف قصة هؤلاء السّيدات الثلاث ، وسبب تصرفاتهن الْغريبة ..



وهُنا أشارتْ صاحبةُ البيْتِ إلى واحدٍ من الصَّعاليك الثَّلاثَة قائلَةً :

- هل وُلِدْتَ أعور بالعَيْنِ الشّمالِ هكذا ؟ !

فتقدمَ الصُّعْلُوكُ الأوَّلُ منْها قائلاً :

- أبداً ياسيِّدتي ، ولكنْ جرتْ لي قِصَّةٌ غريبةٌ ، وهي التي تسببتْ في تلفِ عيْني .. قِصَّةٌ لوْ كُتِبَتْ بالإبرِ على مآقي البَصرِ ، لكانَتْ

عِبرةً لمَن يعتَبِر ..

فتأثَّرت صاحبةُ البيتِ من كلامه وقالَت :

- كلُّ واحدٍ منكُم يحكي لي حكايتَه ، وسببَ مجيئه إلى بيتي ، ثم يُملِّس بيدِه على رأسه ، وينصرِفُ إلى حالِه ..

فتقدَّم الحمَّالُ قائلاً في عجَل :

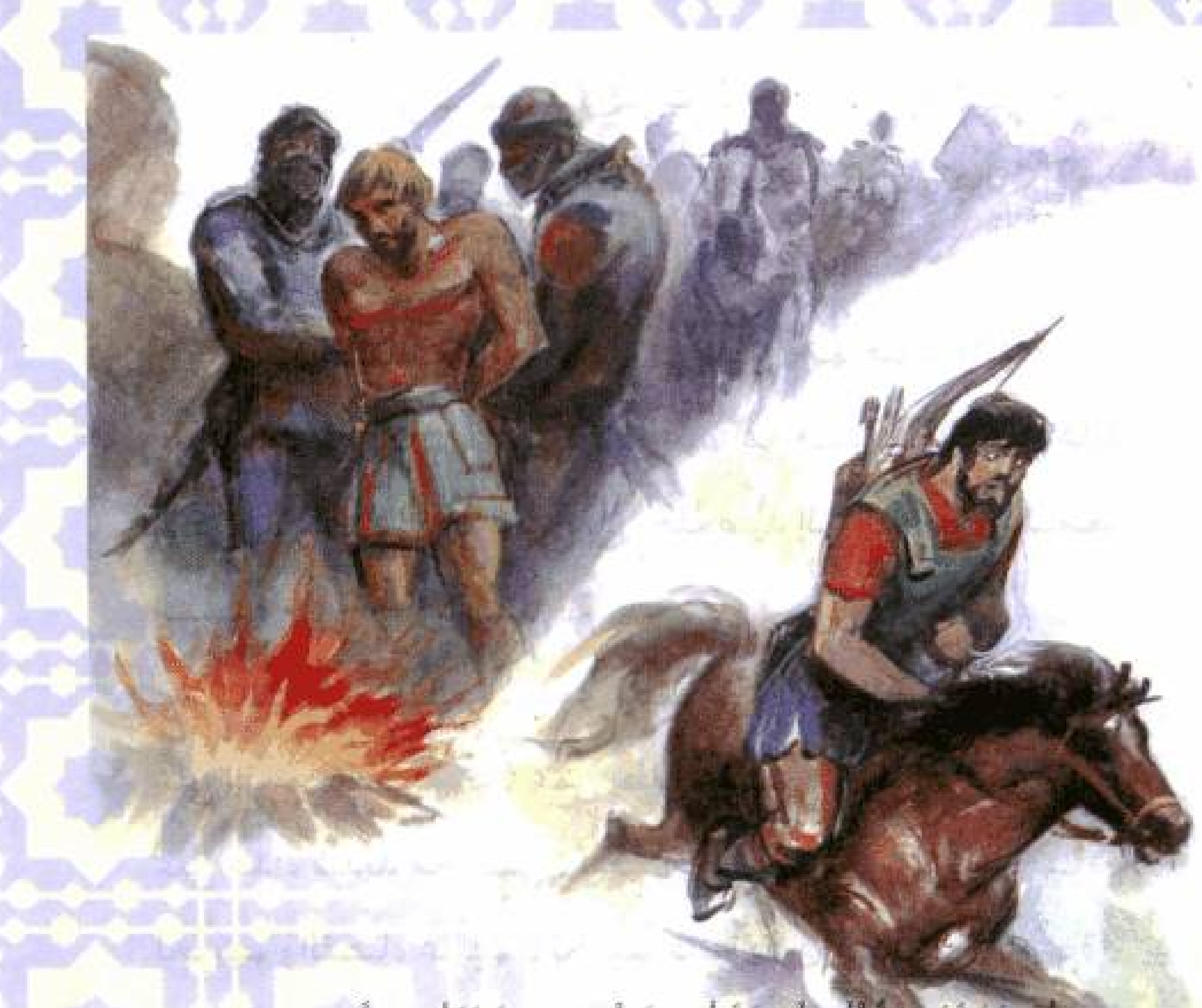
- لقد استأجرتني أختُكِ من السُّوق لحمْلِ مُشترياتها ، فلمَّا جِئتُ هنا صعُبَ عليَّ حالُكُنَّ ، وعرضتُ عليكُنَّ أن أبقى معكُنَّ لخدمتكُنَّ ، ورِعاية شئونكُنَّ ، وأكون لكُنَّ بمثابة الأخِ النَّاصحِ المُعين ، ولم أُخلَّ بشرطي ، حتى جاءَ هؤلاءِ الصَّعاليكُ وأولئك التُّجَّار ، فثار غضبُكِ بسببِ فُضولِهم ، وأنا لاذنبَ لي فيما حدث ..

فقالَت صاحبةُ البيت :

- ملِّس على رأسك ، واذهبْ إلى حالك ، فلم يعُد لنا حاجةٌ إلى وُجودك معنا ..

فقالَ الحمَّالُ :

- لا أذهبُ حتى أسمعَ قصصَ هؤلاءِ الرِّفاق ، كما استمعُوا إلى قصَّتي ..



وهنا تقدمَ الصعلوكُ الأولُ ، ليحكى حكايتهُ قائلاً :

- إنَّ سببَ حلقِ ذقنى وفقدِ عينى الشمالِ لهُ قصةٌ طويلةٌ وهأنذا أحكيها لكُمْ . .

لقدْ كانَ أبى ملكًا على مدينةٍ كبيرةٍ من مُدُنِ الرُّومِ ، وكانَ عمى ملكًا على مدينةٍ أُخرى . .

وقدْ ولدتْنى أُمى فى نفسِ اليومِ الذى ولدتْ فيه زوجةُ عمى ابنها . .

وقدْ مضتْ سنواتٌ كثيرةٌ ، كَبرتُ أَنَا وابْنُ عمِّي خِلالَها ، حتّى صرْنا شَابَّيْنِ ، ونشأْنا مثْلَ الأَخوينِ الْمُتحابَّيْنِ ، وكَانَ كُلٌّ منَّا يَزُورُ الآخَرَ فى مَمْلَكَةِ أبيه ..

وسكَتَ الصّعْلُوكُ الأَوَّلُ متنهدًا فى ضِيقٍ ، ثم أضافَ قائلاً :

- وذاتَ يومٍ كُنْتُ فى زيارةٍ لابْنِ عمِّى فى قصْرِه ، فأكرمنى غايةَ الإِكْرامِ ، وألَحَّ علىَّ أَنْ نخْرُجَ فى رحْلَةِ صيْدٍ إلَى الصَّحْراءِ الشَّاسعَةِ الْمُمْتدَّةِ خارِجَ حُدُودِ الْمَمْلَكَة ..

وكانتْ هذه الصَّحْراءُ مأْوَى للُّصُوصِ وقُطَّاعِ الطُّرُقِ والْخَارجينَ علَى الْقَانُونِ ، الَّذينَ كانَ عمِّى يُطْلِقُ عليْهِمْ (الثُّوَّار) والذين كانُوا علَى عداءٍ شديدٍ مع عمِّى ، بِسببِ حربِه لهم ، وتجْريدِ الْجيُوشِ لحرْبِهِمْ والْقضاءِ عليْهِمْ ، لكنَّهُم كانُوا يلُوذُونَ بالْجبالِ الْوعرةِ ، التى يَعْرِفُونَ طُرُقَها جيِّدًا ، ولذلكَ لَمْ تُفْلِحِ الْجُيُوشُ فى الْقَضاءِ عليْهِم ..

فلمَّا توغَّلْتُ أنا وابْنُ عمِّى للصَّيْدِ ، داخلَ الصَّحْراءِ ، رأى ابْنُ عمِّى غزالاً ، فانْطلقَ خَلْفَهُ يُطارِدُهُ ، ومنْ سوءِ حظِّه أنَّ الْغزالَ قادهُ إلى معاقلِ اللُّصُوصِ والثَّائرينَ ، فلمَّا عرفُوا أنَّهُ ابْنُ الْملكِ أسرُوهُ وقتلُوهُ ، وتمكَّنْتُ أنا من الْفرارِ والنَّجاةِ بصعُوبةٍ ، لكنَّنى لمْ أجْرُؤْ



عَلَى الْعَوْدَةِ لِمَمْلَكَةِ عَمِّي ، لِأُخْبِرَهُ بِمَا حَدَثَ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ الصَّدْمَةُ .. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ عُدْتُ إِلَى مَمْلَكَتِي ، لِأُخْبِرَ أَبِي بِمَا حَدَثَ ، لِيُجَرِّدَ جَيْشًا وَيَجْعَلَنِي قَائِدَهُ ، حَتَّى أَثْأَرَ لِابْنِ عَمِّي مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ ..

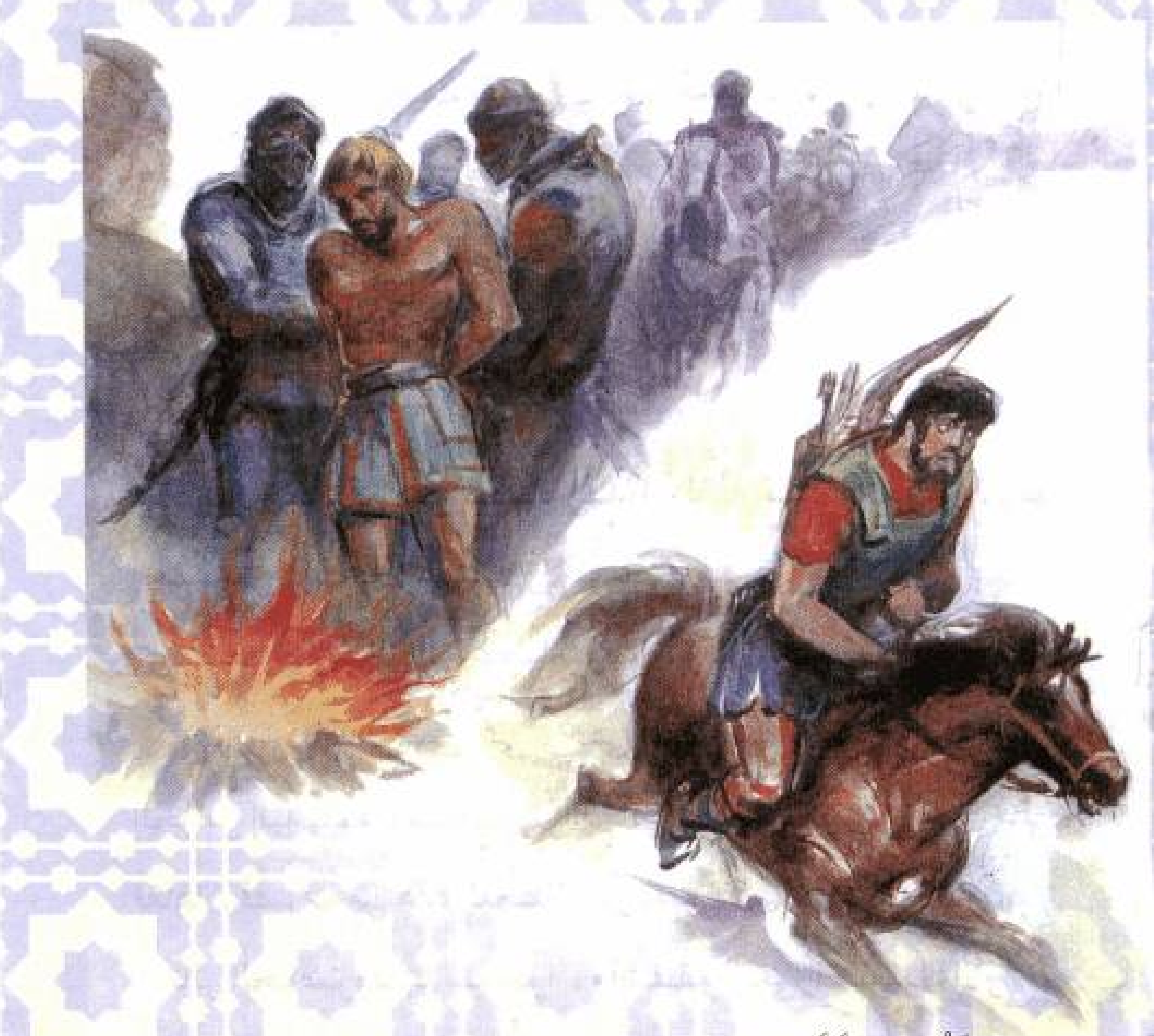
وتوقَّفَ الصُّعْلُوكُ الأَوَّلُ ، ثم قالَ فى حُزْنٍ :

– لَمْ أَكُنْ أَدْرِى أَنَّ هُنَاكَ مُصِيبَةً أَكْبَرَ فى انْتِظَارِى ، فَعِنْدَ وُصُولِى إِلَى بَابِ مَمْلَكَةِ أَبِى ، سَارَعَ إِلَىَّ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْحُرَّاسِ ، وكَتَّفُونِى بِالْحِبَالِ ، فَتَعَجَّبْتُ فى نَفْسِى ، وقُلْتُ : تُرَى ماذا حَدَثَ ؟! هؤُلاءِ خَدَمُ أَبِى ، وأَنَا ابْنُ الْمَلِكِ ، فَلِماذا يَفْعَلُونَ بِى ذَلِكَ ؟!

ولَمْ أُطِقْ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ ، فَصِحْتُ فِيهِمْ : أَيُّهَا الأَوْغَادُ أَنَا ابْنُ الْمَلِكِ ، فَلِمَاذَا تَفْعَلُونَ بِى ذَلِكَ ؟!

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَىَّ الْحُرَّاسُ ، وقَادُونِى إِلَى قَصْرِ أَبِى ، فَقَابَلَنِى أَحَدُ خَدَمِ أَبِى الْمُخْلِصِينَ وقَالَ لِى : إِنَّ أَبَاكَ قَدْ غَدَرَ بِهِ الزَّمَانُ ، وخَانَهُ الْوَزِيرُ فَقَتَلَهُ ، وهُوَ الآنَ يَجْلِسُ مُتَرَبِّعًا عَلَى الْعَرْشِ مَلِكًا لِلْبِلادِ . . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ أَظْلَمَتْ فِى وَجْهِى الدُّنْيَا . . وقَادَنِى الْحُرَّاسُ إِلَى الْوَزِيرِ الْخَائِنِ ، وكَانَتْ بَيْنِى وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . .

وسَبَبُ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ ، أَنَّنِى مُنْذُ صِغَرِى كُنْتُ مُولَعًا بِالصَّيْدِ بِالْقَوْسِ ، وذَاتَ يَوْمٍ كُنْتُ واقِفًا فَوْقَ سَطْحِ الْقَصْرِ ، وبِيَدِى الْقَوْسُ ، فَرَأَيْتُ طَائِرًا ، فَرَمَيْتُهُ بِالْقَوْسِ ، لَكِنَّ السَّهْمَ أَخْطَأَ الطَّائِرَ ، وأَصَابَ عَيْنَ الْوَزِيرِ ، فَأَتْلَفَهَا ، وأَنَا لاأَقْصِدُ ذَلِكَ . . ولَمْ يَجْرُؤِ الْوَزِيرُ عَلَى مُعَاقَبَتِى يَوْمَهَا ، لأَنَّنِى كُنْتُ ابْنَ الْمَلِكِ ، لَكِنَّهُ أَضْمَرَ



لى فى نَفْسه الشَّرَّ ..

ولـمَّا حَدثَ ماحَدثَ ، ووقَفْتُ مُقيَّداً أمامَ الْوزيرِ - الذى صارَ مَلِكاً -

نظَرَ إلىَّ باستِهانَة ، وقالَ لحرَاسِه : اضْرِبوا عُنُقَه ..

وسَكتَ الصُّعْلوكُ الأوَّلُ ، ثم قالَ متألِّما :

- فلمَّا رأَيْتُ الْوَزيرَ الْخَائنَ أمَرَ حُراسَه بقتْلِى ، قُلْتُ له مستنكِرا :

بأيِّ ذَنْبٍ تأمرُ حرَاسَكَ بِقَتلي ؟! أَلَمْ تكتفِ بِقتلِ أبي ، وتشريدِ أَهلِي ، والاستيلاء على العَرْشِ ؟!

فأشارَ الوزيرُ الخائنُ إلى عينِه التَّالفةِ وقَالَ :

- وأيُّ ذنبٍ أعظَمُ من قَلْعِكَ لِعيني ؟!

فقلت له :

- هذا خطأٌ وقعَ مِنِّي قَضاءً وقَدرًا ، لقد كُنْتُ صغيرًا ، ولمْ أتعمّدْ فعلَ ذَلِكَ بِكَ عمدًا ، ولاعَنْ قَصْدٍ منِّي ..

فغضبَ الوزيرُ الخائنُ غضبًا شديدًا ، وقَالَ لحُرَاسه :

- قَرِّبوا ذلكَ الأحمقَ مِني ، حتى أَقْتصَّ منهُ بنفسي .. فدفعني الحُرَّاسُ إليْه بقُوَّة ، فمدَّ الوزيرُ الخائنُ أُصبعَه في عَيْني بِقُوَّةٍ حتّى فقأها ، فصرتُ منْ هذه اللَّحظَة أعور بعيْني الشِّمَال ، كما ترونْ ..

تأثَرَ الحاضِرون بما سمعُوا ، وأشفقُوا على الصُّعْلوكِ الأوَّلِ ، وقالَتْ صاحبَةُ البَيْت :

- هذا سببُ فَقْدِ عينكَ ، فماذا عن حَلْقِ ذَقْنِكَ ؟!

فتنهَّدَ الصُّعْلُوكُ الأوَّلُ في ضيقٍ وقَالَ :

- بعْدَ أنْ فقأَ الوزيرُ الخائنُ عيْني ، أَمرَ حُرَاسَهُ أَنْ يضعُوني في صُنْدُوقٍ ، ثمَّ قال للسَّيَّاف : خذْ هذَا الشَّابَّ إلى خارجِ المَدينَة ،



وَاشْهَرْ سَيْفَكَ . ثُمَّ اقْتُلْهُ وَمَزِّقْهُ قِطَعًا صَغِيرَةً ، وَأَلْقِ بِهِ لِلْوُحُوشِ حَتَّى تَأْكُلَهُ ، وَأَسْتَرِيحَ مِنْ مَنْظَرِهِ . .

فَحَمَلَنِي السَّيَّافُ ، وَسَارَ بِي حَتَّى خَرَجَ بِي مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَهُنَاكَ أَخْرَجَنِي مِنَ الصُّنْدُوقِ - وَأَنَا مُقَيَّدٌ - لِيَقْتُلَنِي كَمَا أَمَرَهُ الْوَزِيرُ الْخَائِنُ . .

وَهُنَا صَعُبَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَتَذَكَّرْتُ سَابِقَ عِزِّي وَذُلِّي الْيَوْمَ ،

فبكيتُ وتوسلتُ إليه أنْ يرحمني ويعفو عني ، وألا يقتلني ..
وأخذتُ أذكّره بسابق مودتي له ، وإحساني إليه ، وأنّه كان ذات يومٍ من رجال أبي ، وظللتُ أستعطفه بشعرٍ مؤثرٍ ، حتى رقّ قلبُ السيّاف لي ، وأشفق عليّ ، وقال لي في صوت تخنقه العبرات :

- ماذا أفعل ياولدي ، وأنا عبد مأمور ؟! لو لم أنفذ أوامر ذلك الوزير الطاغية ، أمر بقتلي .. إنّ لوالدك الرّاحل كثيرًا من الفضل عليّ والإحسان إليّ ، ولكن ماذا بيدي الآن ؟!

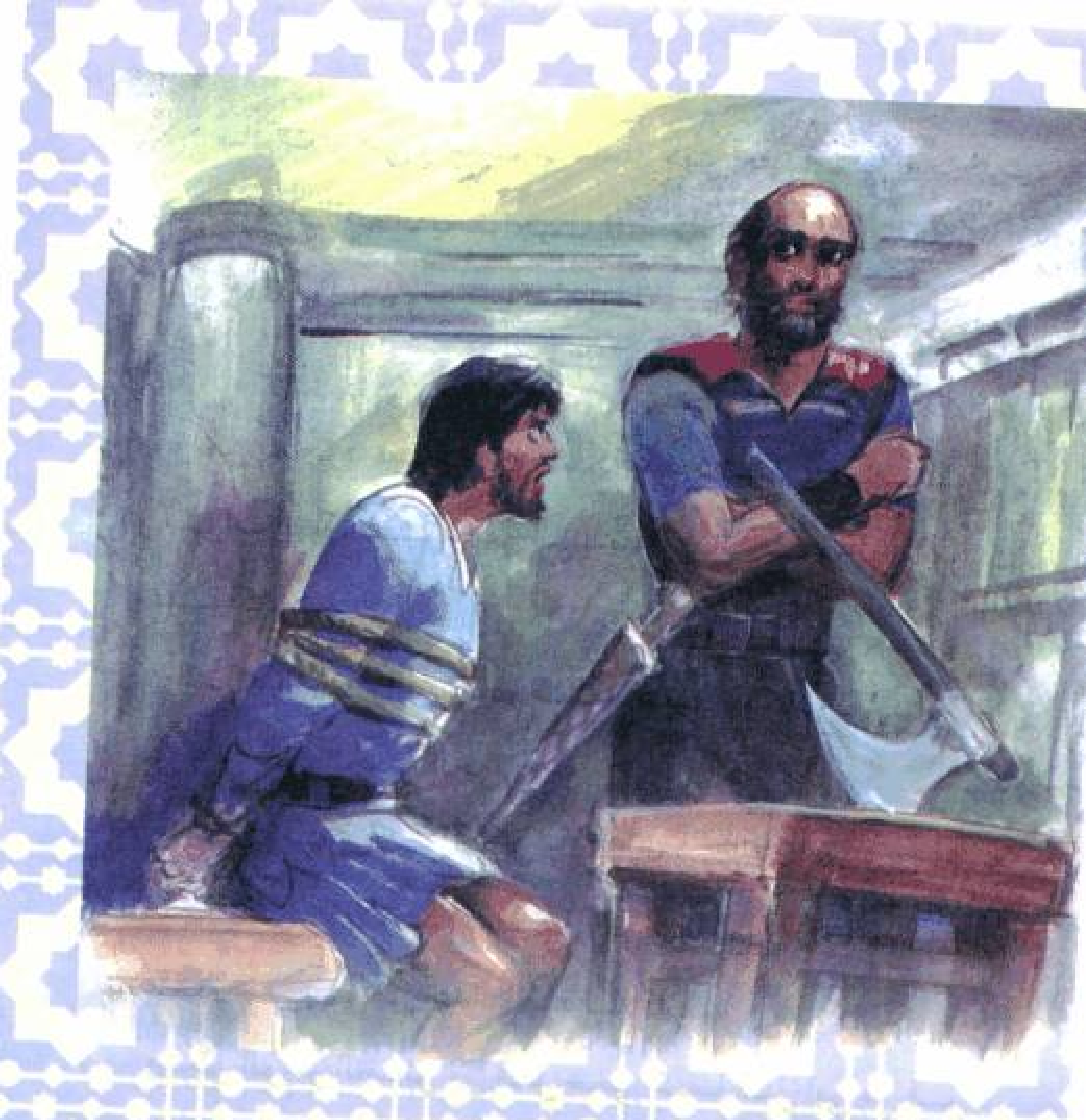
فقلتُ له :

- تستطيعُ ياسيدي أنْ تطلق سراحي ، وأقسم لك إنّك لن ترى وجهي بعد الآن .. لن أدخل هذه المملكة مرةً أخرى ، ولن يراني أحدٌ ، حتى يخبر الوزير الخائن أنّك أطلقت سراحي .. أطلق سراحي وعُد لتقول له إنّك قتلتني ، وأطعمتني للوحوش ..

فلمّا سمع السيّاف هذا الكلام ، فكّ قيودي ، وأطلق سراحي قائلاً :

- اهرب من هذا البلد ، لتفوز بعمرك ، حتى لاتهلك ، وتهلكني معك ..

فلمّا فعل السيّاف معي ذلك ، شكرتُه ، وانطلقتُ هاربًا ، وأنا



لاأصدقُ أنني نجوتُ ..

فازدادَ تأثرُ صاحبةِ البيتِ لما سمعتهُ وقالتْ :

- وماذا فعلتَ بعدَ ذلكَ ؟!

فقالَ الصعلوكُ الأولُ :

- سافرْتُ ، حتى وصلْتُ إلى مدينةِ عمِّى حتَّى أحْكِى لهُ ماحدثَ لأبِى ، وأطْلُبَ منهُ أنْ يجهزَ جيشًا للثَّأرِ من الْخارجين علَى الْقانُونِ ، الَّذين قتلُوا ولدَهُ ، وجيْشًا آخرَ للثَّأرِ من الْوزيرِ الْخائنِ على قتْلِ أبِى . .

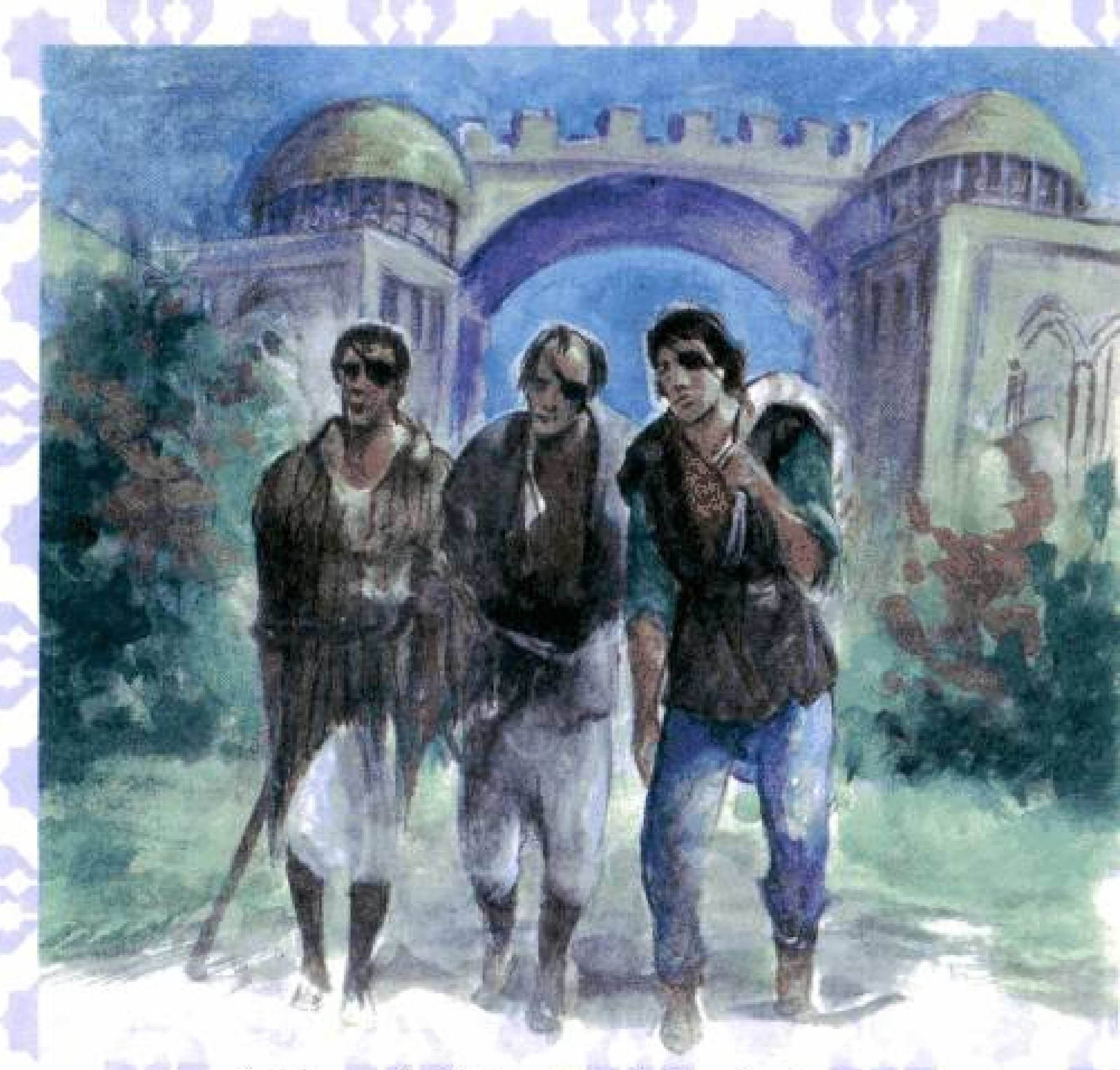
ولكنْ بمُجردِ دُخُولِى إلى مملكةِ عمِّى سمعْتُ دقَّاتِ طُبولٍ ، وأصواتَ أبْواقٍ تقْتربُ من الْمدينةِ ، فالْتفتُّ ورائِى ، ورأيْتُ مُصيبةً أكْبر . .

رأيْتُ جيْشًا جرَّارًا يقْتحمُ مملكةَ عمِّى ، وكانَ الْوزيرُ الْخائنُ على رأسِ ذلكَ الْجيْشِ الْجرَّارِ . .

وخلالَ وقْتٍ قصيرٍ تمكَّنَ جيشُ الْوزيرِ الْخائنِ من مُداهمةِ مملكةِ عمِّى ، والاسْتيلاءِ عليْها ، فى غفْلةٍ من أهْلها ، ودُونَ أنْ يتمكَّنَ جيْشُ عمِّى من إعْدادِ الْعُدَّةِ لمُلاقاتِهمْ . .

وتمكَّنَ الْوزيرُ الْخائنُ من قتْلِ عمِّى كما قتلَ أبِى من قبْلُ ، واستولَى على مملكتهِ أيْضًا . .

فلما رأيْتُ جنُودَ الْوزيرِ الْخائنِ يملئُونَ الْمملكةَ ، ويجُوبُونَ شوارِعها ، خفتُ أنْ يرانى أحدٌ ويتعرَّفنِى ، فيقُودنى إلى عدُوِّى ، ليقْتُلنى . .



وهكذا تَراكَمَتْ عليَّ النَّوائبُ والأحْزانُ ، وفكَّرْتُ في حالي ، فلمْ أجدْ سوى حلٍّ واحدٍ يُنقذني من الموْت ، وهو حلق لحيتي ، حتى أُغيِّرَ ملامحَ شكْلي ، فلا يتعرفُني أحدٌ . .

وهكذا حلقْتُ ذقني ، وفررْتُ من المدينة ، حتى وصلْتُ إلى مدينة بغداد ، وكلُّ أملي أنْ أجدَ من يوصِّلني إلى قصْر الخليفة

(هارون الرشيد) حتى أقص عليه ماجرى لى ولعائلتى ، وأطلب منه أن يساعدنى فى الثأر من ذلك الوزير الخائن ..

فلما وصلت إلى هنا ، رأيت أحد هذين الصعلوكين ، وقلت له : أنا غريب عن هذه المدينة ..

وعلمت أنه هو أيضا غريب مثلى ، وبينما نحن واقفان جاء ذلك الصعلوك الثالث وانضم إلينا ، ومن الغريب أننا نحن الثلاثة عور بالعين اليسرى ، وقد حلق كل منا لحيته ..

ثم طرقنا باب بيتكم نطلب طعاما ..

فقالت صاحبة البيت :

– ملس على رأسك ، وانصرف لحالك ..

فقال الصعلوك الأول :

– لا أنصرف حتى أسمع قصص رفاقى ..

وهنا تقدم الصعلوك الثانى ، ليحكى حكايته ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ٤٣٧٩

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٣٤٦ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧